

الذكرى الثامنة والثلاثون لثورة الملك والشعب

وجه جلالة الملك الحسن الثاني خطابا إلى الأمة بمناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لثورة الملك والشعب، تطرق فيه جلالته إلى مغزى الاحتفال بهذه الذكرى الخالدة واسترجاع الأقاليم الصحراوية ومسألة الاستفتاء التأكيدي.

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز:

في مثل هذا اليوم قبل 38 سنة احتجز أبي وأب الشعب المغربي كله محمد الخامس في قاعدة عسكرية بمطار الرباط القديم لينقل في طائرة إلى كورسيكا منطلق منفاه البعيد والسحيق. ومنذ 22 غشت من تلك السنة إلى أن رجع والدنا المنعم ـ طيب الله ثراه ـ إلى بلده، محفوفا بعناية الله، ملطوفا بكرم الله، محاطا بغرام شعبه به ومهللا بالتزامه لشعبه، ونحن نحتفل بهذه الذكرى لنجعل منها كل سنة آية من آيات فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ علينا جميعا؛ ولنجعلها معلمة تذكرنا بماضينا المجيد؛ ولنجعل منها إنذارا لمستقبلنا حتى لا نتنكر لما سبقنا من أجيالنا.

ومنذ احتفالنا السنة الأولى؛ أي سنة 1956 إلى 20 غشت 1991، لا أظن أننا كنا في حاجة أكثر مما نحن فيه الآن إلى اتخاذ العبرة واستخراج الحكمة من هذا الامتحان الذي أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون امتحانا لا محنة، وأن يكون نعمة سبقتها نقمة. نحن في حاجة إلى ذلك ـ شعبي العزيز ـ ونحن على أبواب استرجاع صحرائنا بكيفية نهائية لا مفر لأي أحد منها. أقول استرجاع صحرائنا لا بقلوبنا، لا، استرجاع صحرائنا لا بوجودنا فيها، لا، استرجاع صحرائنا بأدلتنا التاريخية القديمة والحديثة، لا، بل استرجاع الصحراء بكيفية لا تترك لأي أحد أي مجال لأن يتنكر لمغربية الصحراء أو يجاحد فيها.

نعم، هناك في وطني العزيز وهنا بين طبقاتك السياسية ـ شعبي العزيز ـ من يقول.. لماذا طالبنا بالاستفتاء.. وهذا نظر. وهناك من يقول إن الاستفتاء قد تجاوزته الأحداث، وهذا نظر كذلك، ومنهم من يقول طالبنا بالاستفتاء فعلينا أن نسير بمسلسل الاستفتاء إلى نهايته.

لقد طالبنا بالاستفتاء حتى نظهر للعالم أجمع أن حقوقنا ليست حقوقا واهية أو مزيفة أو ظرفية لا، لقد طالبنا به لنقول إن حقوق المغرب ثابتة شرعيا. والدليل على هذا أننا لم نناديك ـ شعبي العزيز ـ إلى المسيرة الخضراء؛ تلك الملحمة والمعلمة الغراء التي ستبقى في تاريخنا إلا بعدما صرحت محكمة العدل الدولية بأن الصحراء لم تكن أرضا مواتا؛ بل كان بينها وبين المملكة المغربية وشائج وروابط والتزامات البيعة. ومنذ ذلك اليوم، ونحن نساير المشروعية الدولية ونحاول أكثر ما يمكن ألا نخرج عن طريق مسايرة المشروعية الدولية «حتى نوصل الكذاب إلى باب الدار» كما يقول العامة عندنا.

وبعد ذلك، تمت اتفاقية مدريد؛ تلك الإتفاقية التي نصت على انتهاء الاستعمار بالصحراء، والتي أخذت بعين الاعتبار تقرير المصير للشعب الصحراوي نهائيا؛ وذلك من خلال بيعة الجماعة؛



تلك الجماعة التي كانت آنذاك هي البرلمان المقرر لشؤون الصحراء بالنسبة للمستعمر. ولكن سرعان ما وقع في الجو ما وقع، وسرعان ما تكالبت علينا الظروف وتنكر لنا الإخوة والأصدقاء، وسرعان ما خرجت إلى الوجود تلك الخرافة التي أسميها شخصيا فضيحة القرن ؛ أقصد خرافة البوليساريو والجمهورية المزعومة.

وكل واحد منكم - شعبي العزيز - بإمكانه أن يرجع بذاكرته أو يرجع خلال مطالعته للصحف من سنة 1977 إلى سنة 1981 ليرى أن المؤامرة والمغامرة لم تبق محدودة بين هذا وذاك؛ بل أصبحنا أمام مسرحية مؤسفة ومؤلمة انضوى تحت جناحيها العارف والجاهل المتحقق والمتشكك الطيب السريرة وبائع ضميره. فأصبح الكل يطالب المغرب بأن يعطي هذه الجماعة من السكان الموجودين في الصحراء حق تقرير مصيرهم، وبقت الخرافة مثل الزوبعة يكبر حجمها وتنتفخ وتهب في الفضاء بريحها وعواصفها إلى أن ارتأيت شخصيا أن أحارب الخصم بسهمه وأنازله بسلاحه وأسير وراءه حثيثا حثيثا بنفس الطريقة التي أراد أن يكيد لنا بها لاسترجاع صحرائنا. وأخذت على نفسي - شعبي العزيز- بكل مسؤولية، ونظرا لما أولاني الدستور المكتوب أولا والدستور التقليدي والتاريخي مدى القرون ثانيا والقسم الذي أديته بين يدي والدي محمد الخامس - طيب الله ثراه - سنة 1957 حينما كرمني واستعبدني لخدمة هذا الشعب، أي يوم أن ألقى على كاهلي ولاية العهد، أن أتقدم للمجتمع الدولي لأقول له نعم أنازلك بنفس سلاحك وسأتحداك بنفس تحدياتك وسأخرج من التحدي منتصرا غانما سالما إن شاء الله.

وهكذا سارت مسيرتنا إلى نيروبي سنة 1981، وقلنا آنذاك لإخواننا الأفارقة أنا مؤمن بمغربية الصحراء وأنا مؤمن ومطمئن بالنسبة لعواطف رعايانا سكان تلك الأقاليم. فهلم بنا إذن إلى هذا الاستفتاء الذي سيكون كما نراه في أنفسنا وكما نريده أن يكون، أولا استفتاء تأكيديا لمغربية الصحراء وثانيا استفتاء يدل أكبر دلالة على فضيلتنا في مطالبتنا باسترجاع ما ضاع لنا من أراضينا. ومنذ ذلك اليوم - شعبي العزيز - ونحن نساير المشروعية الدولية ومنذ ذلك اليوم ونحن ننتظر أن يأتي هذا الاستفتاء. لقد انتظرنا - شعبي العزيز - عشر سنوات مات فيها من مات، واستشهد فيها من استشهد ومرت فيها من الظروف السانحة للتلاقي والتعانق من جديد والتعارف والتجانس، وضاع منها من الفرص ما ضاع. ومع ذلك بقينا أنت وأنا صامدين عاملين جادين، فشيدنا ما شيدنا وعمرنا ما عمرنا وبنينا ما بنينا وثقفنا من ثقفنا وربطنا بين جنوبنا وشمالنا ما ربطنا مستعدين في كل حين أن يقول لنا المجتمع العالمي هل أنتم مستعدون للاستفتاء لنجيب نعم من الغد.

وسارت الأيام من 1981 إلى 1988 تقريبا. وها هو المنتظم الدولي آنذاك يعبر لمشكلتنا اهتمامه وهمه، فجرت الإتصالات بيننا وبين الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة السيد بيريز ديكويار الذي تحقق منذ سنين وسنين بأن إرادتنا هي الاستفتاء، وأننا كيفما كان الحال سنقبل نتائج الاستفتاء، ومنذ اليوم الأول سنقبل نتائج الاستفتاء، لأن الصحراء لا يمكن إلا أن تكون مغربية كان الاستفتاء أو لم يكن. هذا هو اعتقادي شخصيا، فلقد استفتيت قلبي مرارا ومرارا بعدما استفتيت الآلاف من أبناء سكان الصحراء وأنا أزورهم في الداخلة والعيون والسمارة وفي جميع نواحي الصحراء وأنا أقرأ على محياهم وأرى في عيونهم ما تراه عيني وما يشعر به قلبي ألا وهو أن الصحراء مغربية.

فعلا، مرارا قلت لنفسي وأنا أزور الأقاليم الصحراوية أو يزورني رعايانا من صحرائنا أن الاستفتاء متجاوز مع ما أراه وما يراه الناس وما ينقل، لأنه أصبح كل شيء معروفا اليوم بفضل الأقمار



الإصطناعية ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، قلت كيف يمكن لأحد يرى ما يراه ويسمع ما يسمع أن يشك ولو لحظة عين في مغربية الصحراء. ولكن العاقل المتيقن من حقه هو الذي يتحدى ربما فوق الحد المعقول للتحدي؛ يتحدى الأحداث والخصوم، وهنا أتذكر بيت شعر لم أكن أعرفه من قبل لو كنت عرفته من قبل لسمعته ـ شعبي العزيز ـ من فمي. لقد اطلعت عليه قبل عشرة أيام تقريبا وهو للشاعر أحمد شوقي، وهو بيت يعجبني كثيرا لأنه وإن كان ينتمي إلى فكرة المتنبي «الرأي قبل شجاعة الشجعان» فهو في الحقيقة بيت شعر لرجل سياسي محنك يقول شوقي:

رتب الشجاعة في الرجال جليلة ... وأجلهن شجاعة الآراء

فالرجل السياسي يقول أنا لي رأي ولي شجاعة الرأي، وحينما أقول ـ شعبي العزيز ـ إن لي شجاعة الرأي فأنا في الحقيقة لست إلا مرآة لك فأنا بدون مرآة شعبي لست إلا مغربيا كجميع المغاربة. ومن جهة أخرى فإن الشعب المغربي بدون ملكه وأمير المؤمنين الساهر على وحدة ترابه وسلامة دينه وسلوكه الديني كذلك لن يكون في المستوى الذي يجب أن يكون عليه. بحيث قلت مع ذلك سنسير مع هيأة الأمم المتحدة إلى النهاية في هذا المسلسل حتى لا يمكن لأحد لا الآن ولا بعد الغد ولا بعد مائة عام أو مائتي أو أكثر أن يشك أو يتشكك في مغربية الصحراء.

لقد انطلقت المذاكرات والمفاوضات وتبادل الآراء والرسائل والمذكرات، سواء على مستوى الأمين العام ومستواي أو على مستوى آخر، إلى أن وصلنا إلى مخطط السلام الذي وافقت عليه هيأة الأمم المتحدة في بداية هذه السنة، ونحن موافقون على مخطط السلام هذا ونحن نتمسك به في عمقه وفي فلسفته ونحن نتمسك به لأن في بنوده ظاهرا وبكيفية واضحة لا تخفى على أحد إذا هو طبق، جميع الضمانات التي يمكن للشعب المغربي أن يحصن بها مغربية صحرائه. فنحن نقولها ونؤكدها لسنا ضد المخطط الأممي للسلام، ولو كنا ضده لقلناها، نقولها ونؤكدها لأنه كان لدينا اختياران إما أن نبقى ساكتين وفي يوم ما تنزل علينا الأمم المتحدة بقرار وتقول من الواجب أن يجري الاستفتاء في الصحراء وأنتم تعرفون الظروف التي كانت مهيمنة على اللجنة الرابعة والجو الذي كان أثناء الحرب الباردة وعلى سياسة دول العالم الثالث وغير ذلك. فلو لم نقل سنة 1981 أننا نريد الاستفتاء لكان فرض علينا سنة 1984 أو 1985، والفرق بين هذه الوضعية والأخرى هو أنه، بما أننا نحن الذين طالبنا بالاستفتاء أصبحت لدينا الصلاحية كي نقود بمعية الأمين العام لهيأة الأمم المتحدة مخطط السلام كقائدي طائرة واحدة. واحد هنا وواحد هناك. أما لو أننا بقينا رافضين للاستفتاء لفرض علينا ولما تأتى لنا أن نسير مع الأمين العام والمنتظم الدولي في مسلسل مشروع ودولي وبالنسبة لنا تأكيدي لمغربية الصحراء وأخيرا متضمنا للضمانات الضرورية للحفاظ على حقوقنا أيام الإستفتاء.

فلو لم تكن لنا فضيلة المطالبة بالاستفتاء إيمانا بحقنا لوقع لنا كما وقع ببلد عربي حفظه الله من المكاره. ففي ظرف سنة نزلت على هذا البلد القرارات الأممية والدولية الواحد تلو الآخر حتى لم يبق له ولو نقير قطمير من حرية التصرف في سيادته.

ولكن ـ الحمد لله ـ لم يقع لنا من هذا كله أي شيء، بل بقينا نتذاكر مع الأمين العام وتركنا لحكومتنا سواء في الرباط أو لمن يمثلنا في نيويورك المجال في إطار معروف ومحدود لوضع مخطط السلام. فمع الأسف ومع ما أكنه في نفسي بكل صراحة من تعظيم وتوقير لهيأة الأمم المتحدة، وجدنا أنفسنا اليوم في ازدواجية. نحن متفقون وهيأة الأمم المتحدة متفقة على مخطط السلام، ولكن هذا المخطط لا



يقتصر فقط على إجراء الاستفتاء، بل هو مشروط بشروط تضمن للمغاربة الحق في إبراز شخصيتهم المغربية الصحراوية.

ومن جملة الشروط، سوف لا أقولها بكيفية قانونية بل سأسردها عليك وسوف ترى - شعبي العزيز - أنه لم يتم لحد الآن تنفيذ أي شرط من هذه الشروط. هناك مثلا الشرط المتعلق باستشارة رؤساء القبائل من قبل لجنة التعريف التي ستعرف من الذي سيصوت والذي لا يصوت. فقد كان من اللازم أن تقوم هذه اللجنة بعملها 16 أسبوعا أي أربعة أشهر قبل موعد 6 شتنبر إلا أن هذه اللجنة لم تجتمع لحد الآن.

وكذلك، كان من اللازم أن توضع اللوائح وأكثر من ذلك أن يقع التعريف بها علنيا وتحدد كيفية الإدلاء بالأسماء بالنسبة للذين يعتبرون أنهم ليسوا في اللائحة الأولى. فقد كان من اللازم أن تجتمع هذه اللجنة 12 أسبوعا أي ثلاثة شهور قبل موعد 6 شتنبر إلا أنها لم تجتمع.

وفضلا عن ذلك، كان من الواجب إرسال لجينة متنقلة متفرعة عن هذه اللجنة الكبيرة للتعريف بالأشخاص لتعمل لمدة تسعة أسابيع، أي شهرين وأسبوعا واحدا. إلا أنه إلى حد الآن لم يقع أي شيء من هذا.

وبعد ذلك، كان من اللازم أن يحدد آخر أجل لقبول طلبات الأشخاص الذين يريدون تسجيل أنفسهم في اللوائح، ومراجعة هذه اللوائح كان يجب أن تكون شهرين قبل تاريخ 6 شتنبر. كان كذلك من واجب الأمم المتحدة أن تتفق معنا على مقاييس ومعايير اعتبار هذا الشخص أو ذاك صحراويا يحق له التصويت. لكن إلى حد الآن لم نتفق بعد على هذه المعايير والمقاييس. وكان من اللازم أن نتفق كذلك على لائحة فيها أسئلة مطروحة يجب أن يرد عليها كتابة في نفس الورقة فيما يخص معيار أو مقياس الهوية.

وأخيرا، كان يجب أن نتوصل إلى اتفاق مكتوب بخصوص الحالة الإدارية أو السياسية أو هما معا لما يسمى بـ «المينورسو» وهكذا ترى — شعبي العزيز — ونحن اليوم في 20 غشت لا تفصلنا إلا سبعة عشر يوما عن تاريخ 6 شتنبر أن هذه المراحل التي كان يجب أن تبدأ 16 أسبوعا قبل يوم 6 شتنبر لم تبتدىء إلى حد الآن. بل أنه حتى أي عملية من هذه العمليات التي كان يجب أن تكون تامة منهية - لا مؤقتة أو تنتظر الاستئناف، لم تبتدىء.

فلا شيء ابتدأ من هذه العمليات وأطولها 16 أسبوعا أي أربعة أشهر وأقصرها شهران ونصف على ما أظن.

هناك من يقول أو يدعي أنه رغم هذا كله يجب أن يشرع في تطبيق مخطط السلام يوم 6 شتنبر. وهذا تعجيز. أقول لا، لأن كل اتفاقية يجب أولا أن تكون محترمة للروح وللنص. فإذا كنا متفقين على روح مخطط السلام لهيئة الأمم المتحدة في ما يخص فلسفته والوسائل المؤدية بنا إلى الاستفتاء، فالمنطوق والمكتوب والضروري من الشروط لم يتم منها أي واحد إلى يومنا هذا.

وأقول وأؤكد علانية وأنا لا أتوجه الآن إلى الشعب المغربي العزيز علي، بل إلى الضمير العالمي وإلى هيئة الأمم المتحدة إدارة وأعضاءاً أقول وأؤكد عليكم أن تحترموا المواقيت والمراحل. أما نحن فسنحترم كل الاحترام مخطط السلام الذي وافقت عليه جميع الدول العضوة في هيئة الأمم المتحدة، وقد وافقت



عليه بشروط والموافقة معلقة لأن هذه الشروط هي شروط صحة، فهي ليست شروط وجوب بل شروط صحة وكل مغربي مغربي مسلم مسلم يعرف سواء بالنسبة للعبادات أو المعاملات الفرق بين شروط الصحة وشروط الوجوب والأفضلية التي تعطى لشرط الصحة على شرط الوجوب. فهذه شروط صحة دونها لا يمكن أبدا أن يقال بأن تبدأ عمليات الاستفتاء من الغد. أنا متأسف، فإذا كان هناك تأخر فليس منا، بل من إدارة هيئة الأمم المتحدة. وأقول لهذه الإدارة التي أحترمها وأحترم قبل كل شيء رئيسها الأمين العام السيد بيريز ديكويار، علينا أن نراجع حساباتنا حتى نبقى أنتم ونحن أوفياء لما قرره المجتمع الدولي. أما أن تقولوا لنا، ولا يفصلنا سوى 17 يوما عن يوم 6 شتنبر، أن نبدأ في المسلسل كله وفي ظرف 17 يوم نجمع ونكدس جميع المراحل التي حدد للبعض منها حتى أربعة أشهر فهذا غير مقبول لا من العادة ولا من العبادة.

ولي اليقين أن خطابا كهذا وحجة كهذه سوف يلقيان الصدور الواعية والأفكار المتفهمة المتفتحة ولاسيما أنه لايمكن - شعبي العزيز - لكل مراقب مراقب أن يواخذ على المغرب إما تماطلا أو تراجعا أو تناقضا يمكن أن يدل ولو بالوزن الضئيل على سوء إرادته.

إذن، أقول نحن مستعدون لتطبيق هذا المخطط على شرط أن ننطلق من جديد من نقطة البداية باحترام الآجال المضروبة والمتوالية حسب ما قرره مخطط السلام. وآنذاك سوف تجد هيئة الأمم المتحدة فينا الممتحن الذي يعرف في الحين هل هو شريف باحترام كلمته أو غير شريف لأنه يتنكر لها.

أما فيما يخصنا نحن — شعبي العزيز — فهذا كما قلت لك كله إرضاء لضمير. . . . ضميرك وضميري لأنني — شعبي العزيز — أنا الذي باسمك ودستوريا آخذ هذا القلم وأوقع على القيام بالعمليات الحربية. أنا الذي آخذ على مسؤوليتي أن أختار الظرف الذي كان يجب أن تنطلق فيه هذه العملية أم لا، وأنا الذي بهذا القلم أعطتني صلاحياتي أن أضحي بعشرات أو مئات أو آلاف الأرواح المغربية.

أريد - شعبي العزيز - أن تنتهي هذه المأساة الآن في أقرب وقت ممكن. وأريد ألا يصبح لا الحسن الثاني ولا من سيخلفه في حاجة إلى أن يأخذ هذا القلم مرة أخرى ومرات أخرى ليأمر بانطلاق عمليات تزهق فيها الأرواح وتسفك فيها الدماء، ويعبث فيها بمستقبل الجهات والإخوان والجيران ومن يجب علينا أن نتعامل معهم أردنا أم كرهنا في السنين والأحقاب المقبلة حتى تصبح هذه الناحية من العالم العربي والإفريقي والإسلامي جنة للتضامن والتعارف والتساكن.

فلهذا - شعبي العزيز - نريد أن ننهي هذه الخرافة نهائيا. بالنسبة لي الصحراويون كلهم مغاربة أو نحن المغاربة كلنا صحراويون، بايعوني وقبلت بيعتهم فبيعتهم في عنقي و التزامي لهم في عنقهم كذلك.

ولكن أريد أن يكون هذا كله معروفا لدى الجميع ومقبولا من الجميع لا تراجع فيه؛ لأننا نحن لا نلعب، فمصير البلاد وأرواح العباد لا يتلاعب فيها.

شعبي العزيز، كيفما كانت آراؤنا وأؤكد عليك في هذا وأنت تشاهد أنني لست متحمسا لأنني كنت متحمسا في الوقت الذي كنت أدافع فيه عن حقوق بلادي وحقوقنا فيما يخص مخطط السلام والشروط الضرورية التي يجب أن تحاط بها هذه العمليات لتكون سليمة ونهائية. فإن الشيء الذي أقوله لك بكل اطمئنان وانشراح وأحسن من هذا كله بتفاؤل، ذلك التفاؤل التاريخي الذي تعرفه في والذي



هو كذلك وراثي لأن أبانا جميعا محمد الخامس ـ طيب الله ثرا ه ـ كان متفائلا . هو أن الصحراء مغربية وستبقى مغربية ، وسوف نعمل جميعا على أن تكون هذه الناحية من المغرب التي استرجعناها وذلك باسترخاص الغالي والثمين على جبين المغرب نجمة دالة في هذه الناحية من العالم وفي هذه القارة الإفريقية ، تدل كلما ضاعت ، على التساكن والسلم والأخوة والإيمان بالله والتعلق بكتابه لأنه سبحانه وتعالى قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

9صفر الخير 1412هـ20 غشت 1991م